بسم الآب والابن والروح القدس الله الواحد آمين

الصليب قوة الله وحكمة الله

الصليب قوة الله

الصليب هو المسيحية. الحديث عن الصليب هو الحديث عن المسيحية. الصليب هو علامة المسيحية. أي مكان فيه صليب يكون مكانًا يشهد للمسيحيين. وأي إنسان يحمل الصليب، أو يرشم ذاته بعلامة الصليب، فهذه علامة مسيحيته.

لذلك العلامة ترتليان قال: "إننا نرشم الصليب في دخولنا وفي خروجنا، وفي أكلنا، وفي وقت نومنا، وأول ما نصحو صباحًا لأن هذه علامة المسيحيين"

والسر في ذلك أن الصليب هو سر قوة الإنسان المسيحي. مارِ إفرام السرياني يقول "إن أردت شيئًا يحميك، فلا تحمل سلاحًا، بل احمل شارة الصليب. فالصليب يا أحبائي هو قوة الإنسان المسيحي. وهذا هو سر تمسكنا بالصليب.

السبب في ذلك، كما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم "إن الإنسان حين يرى المقصلة، أو حبل المشنقة يرتعب. هكذا الشيطان حين يرى الصليب يرتعب"، لأن الصليب هو الوسيلة التي بها قضى الرب على الشيطان عدو الخير. فالشيطان كلما يرى علامة الصليب يرتعب منها.

لذلك يقول القديس يوحنا ذهبي الفم كلمة لطيفة جدًا: "لو سُئلت: "أتعبد إلهًا مصلوبًا؟"

قل له بكل فرح وبشاشة وبفخر: نعم وإن ضحك، ابكِ عليه لا على نفسك. لأن الصليب هو قوة الله وحكمة الله. أتريد أن ترى قوة الصليب؟

- أي إنسان فيه روح شرير. أي إنسان يمسك الصليب ويضعه عليه، يسمع صراخ الشيطان. لا يحتمل الصليب. هذه هي قوة الصليب.

- قوة الصليب ظهرت رمزيًا في العهد القديم، وكانت ظاهرة جدًا. حين اجتاح الموت كل أرض مصر، لم ينجُ إلا الذين احتموا في الصليب. قال الرب لموسى: سأقتل كل أبكار المصريين، من بكر فرعون إلى بكر الجارية وحتى الحيوانات. فقال موسى: وماذا عن شعبك؟ فقال له الرب: هناك وسيلة واحدة تنجيهم من الموت. ما الذي ينجي من الموت؟ وقد كان الموت سيجتاح كل مصر؟

قال له: تدخلون بيوتكم، وتذبحون خروف الفصح، وترشّون الدم على القائمتين والعتبة العليا.

ما هذا المنظر؟ هذه خشبة سائل عليها دم. ما هذه؟ إنها خشبة الصليب. قال الرب: كل مَن يحتمي وراء الخشبة الملطخة بالدم "أرى الدم فأعبر عنكم" (خر ١٢ : ١٣) أليست هذه قوة الصليب؟ التى نجت شعب إسرائيل من الموت.

- مثال الصليب نصر شعب إسرائيل على عماليق. الصليب هو قوة الرب .

عندما كان شعب إسرائيل يحارب عماليق، وقف موسى على الجبل، ورفع يديه على مثال الصليب. ويقول الكتاب المقدس: إنه كلما كان موسى رافعًا يديه كان الشعب ينتصر، وإن خفض يديه كان الشعب ينهزم.

وما سر ذلك؟

إن رفع موسى ليديه على مثال الصليب هو إعلان قوة الصليب. الصليب هو قوة الله. الرب أعدّنا لكي ندرك ما هي قوة الصليب.

- شعب إسرائيل حين كانت تلدغه الحيات السامة في البرية — وكل من تلدغه الحية كان يموت ولا نجاة له — قال الرب لموسى: هناك طريق للنجاة.
أحضر راية وضع عليها حية من نحاس، وارفعها على ربوة عالية. كل من تلدغه الحية وينظر إلى الحية النحاسية يبرأ من سمّ الحية.
ما هذه القوة العجيبة؟ وما هذه الحية؟
قال الرب يسوع "كما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان" (يو ٣ : ١٤)
فما هذا ؟ إنه قوة الصليب. الصليب هو قوة الله للخلاص.

ولماذا الصليب فيه هذه القوة؟ لأن الصليب ليس مجرد قطعتين من الخشب.
الصليب قوته أن السيد المسيح صُلب عليه، سفك دمه عليه فمن هنا جاءت قوة الصليب.
ولكي ندرك الصليب الذي يبدو في ضعف — كيف أن هذا الضعف الله أظهر به ما هو أعظم من القوة؟
ما هي قوة الصليب؟ يرجع ذلك إلى وقت أن أخطأ أبونا آدم.
آدم أخطأ، وأجرة الخطية موت. وسُلطان الموت صار على رقبة البشرية. "النفس التي تخطئ تموت" والجميع أخطأوا. فالموت اجتاح البشرية كلها.
ما هي القوة التي كانت تستطيع أن توقف سلطان الموت؟
آدم أخطأ، وحكم الموت سار على كل الجنس البشري، ولا توجد قوة بشرية تستطيع أن توقف الموت.
لكن الله في محبته قال لآدم "أنا عندي الحل" فصنع الله لآدم أقمصة من جلد.
ومن أين جاء الرب بالجلد؟ كانت هناك ذبيحة. آدم خاطئ، عريان، فأتى الرب بذبيحة وذبحها، وأخذ جلدها، وكسى به آدم.
وبدأ آدم يعرف أن الوسيلة للنجاة من الموت، والستر من الخطية، أن حيواناً بريئاً يموت فدية عن آدم. ومن هنا بدأت فكرة الذبيحة في البشرية كلها.

كل الأديان بلا استثناء — حتى الوثنية — لديها مفهوم الذبيحة. ومن أين جاءوا به؟ جاءوا به من آدم.
وآدم من أين أخذه؟من الله.
والذبيحة التي ستُذبح، ستُذبح فدية عنك أنت الخاطئ. والحيوان هذا لم يفعل شيئاً، فهو يموت بديلاً عنك.
وبدأ الإنسان يفهم أنه لكي ينجو من الموت، فلابدّ أن يوجد بديل يموت عنه. لكن لما كنا نقدم ذبائح حيوانية، قال الرب "دم تيوس وعجول لا يغفر الخطايا"
كيف قالها الرب؟في يوم لشعب إسرائيل اسمه "يوم الكفارة" — موجود في سفر اللاويين، إصحاح ١٦.
قال الرب لشعب إسرائيل: في هذا اليوم سوف أكفّر عن كل خطايا الشعب.فماذا نفعل؟
قال لهم: تأتون بتيس، ثم يأتي هارون رئيس الكهنة، ويضع يده على رأس التيس، ويعترف بخطايا الشعب كله — أننا أخطأنا في جميع وصايا الرب. فيصير هذا التيس حاملاً خطايا الشعب كله.
ثم ماذا نفعل بالتيس؟ التيس الذي يحمل خطاياكم تأخذونه وتُطلقونه في البرية.
معناها أن خطاياكم لا تزال موجودة. كل ما فعلته أنني أبعدتها عنكم.
لكنها لم تُمحَ. دليل ذلك أن التيس لا يزال حيًا!
صحيح أنكم لا ترونه، لكن عيني أنا تراه.

ولهذا قال داود النبي "أبعد عنا معاصينا كبعد المشرق عن المغرب"
هذا ما فعله الله في العهد القديم: هل حُلَّت مشكلة الخطية؟ هل حُلَّ الموت الذي على رقاب البشر؟ لم يُحل. إذاً ما نفع الذبائح؟ أنها تبعد عنكم خطيتكم لكن الخطية مازالت موجودة.

إذا كان دم التيوس والعجول لا يغفر الخطايا. فما العلاج؟ سأرسل لكم خروفًا من السماء هو الذي يحمل خطاياكم.
وهكذا في سفر التكوين، في بداياته كان الله يُعد البشرية للخلاص وللصليب
قال الله لأبينا إبراهيم قدّم لي ذبيحة، وأبونا إبراهيم أخذ ابنه إسحاق لكي يقدّمه ذبيحة للرب. وهما يسيران في الطريق، فأبونا إسحاق يقول لأبينا إبراهيم: يقول له هوذا الحطب والنار والسكين أين الخروف الذي نقدّمه للمحرقة يا أبي؟ أين الخروف؟
فردّ عليه أبونا إبراهيم وقال له "الله يرى له حملًا للمحرقة يا ابني" (تكوين ٢٢)
قال له يا ابني الخراف التي نعطيها نحن هذه لا تصلح، الله سيختار لنفسه حملًا. وظلّت البشرية تعيش على هذا الرجاء، لأن الله يرى له حملًا للمحرقة.
وظلّت البشرية تقدّم ذبائح إلى أن جاء ملء الزمان.
القديس يوحنا المعمدان رأى السيد المسيح فأشار وقال "هوذا حمل الله الذي يرفع خطايا العالم كله" هذا هو رجاء البشرية هذا كان انتظار البشرية.
القديس يوحنا المعمدان قال "في وسطكم قائم لستم تعرفونه" أنا جئت لكي أكشف لكم هذا الحمل.
ولأن الحمل كان يجب أن يُغسّل في الماء قبل أن يُذبح، فيوحنا هو الذي جهّز الحمل للذبح بأنه عمّد السيد المسيح غسّله. لذلك السيد المسيح قال "ينبغي لنا أن نكمّل كل بر". هذه أول خطوة في الصليب.
أصبح المسيح هو الحمل الإلهي، الخروف الذي أرسله الله لكي يرفع خطايا العالم كله.

كم هي قوة المسيح، قوة الصليب عظيمة. هذا الحمل لن يرفع خطية واحد ولا اثنين ولا ثلاثة، لن يمنع الموت عن واحد ولا عن شعب، سيمنع الموت ويرفع خطايا العالم كله.
قال "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم كله". هل بدأت تدرك الآن قوة الصليب.

قوة الصليب إن المسيح على الصليب في ضعف نعم، يبدو المسيح في ضعف، لكنه في الحقيقة أظهر بالضعف ما هو أعظم من القوة. بدا المسيح على الصليب كضعيف، في الحقيقة هذا منتهى القوة.
لماذا؟ رفع بها خطايا العالم كله، رفع بها حكم الموت عن البشرية كلها، وأوقف سلطان إبليس. هل هناك قوة أعظم من هذا؟ فأصبح الصليب هو قوة الله للخلاص.

لذلك قال القديس يوحنا ذهبي الفم من يسألك أتعبد إلهًا مصلوبًا، افرح نعم أعبده، والذي يسخر منك يستحق البكاء، لماذا؟ أين سيذهب من الموت؟ أين سيذهب من الخطيئة؟ أين سيذهب من قبضة إبليس ما لم يحتمِ بالإله المصلوب؟ فصار الصليب هو قوة الله للخلاص.

فإن كان الصليب لرفع الخطايا والآثام، الصليب لا نقصد به مجرد خشبتين، الصليب يعني المسيح الذي عُلّق على الصليب وسفك دمه، وهذه قوة الصليب. فإذا كان الصليب لرفع الخطايا، لو أنا منغمس في خطايا وشهوات لن أتمتع بهذه القوة. عمل الصليب أنه يرفع الخطية. لذلك السيد المسيح على الصليب حمل خطايا العالم كله. فما هي خطيتي وما هي خطيتك بجانب خطايا العالم كله؟

الذي يقدر أن يرفع خطايا العالم كله هل سيعجز أن يرفع خطيتي أنا؟ خطيتي ماذا تكون مقارنة بخطايا البشرية كلها؟ خطيتي ماذا تكون مقارنة بخطايا من أول آدم حتى آخر إنسان قبل مجيء المسيح؟ ماذا تكون؟ لا شيء. هل الذي رفع كل هذه الخطايا هل سيعجز أن يرفع خطيتي؟ لذلك من يحزن منّا ويقول: هل من المعقول أن يغفر لي الله ما فعلته؟ هل من المعقول أن أكون مقبولًا لدى الله بعد ما فعلته؟ يا أحبائي، الصليب هو قوة الله. أخبرني ما هي حدود قوة الله؟ قوة لا نهائية. فالصليب ماذا؟ قوة الله للخلاص.

إن كنت اليوم تريد أن تفرح بقوة الصليب، فقوة الصليب أنه يرفع عنك الخطية. ألقِ بخطيتك على المسيح وألقها بثقة. يحزن الله كثيرًا عندما يقف الإنسان أمام الله متشكك من غفران الله، فهذا يقلل من قيمة الفداء الذي فعله المسيح. لذلك قال ربنا يسوع: كل الخطايا والتجديف تُغفر لبني البشر. فما هو عذرنا بطرس أنكر، ثم قبله. القديس موسى الأسود قتل وسرق وزنا، قبله. والمرأة السامرية كان لها خمسة رجال والذي معها ليس زوجها، قبلها. فما هي خطيتنا بالمقارنة بهذه الخطايا؟
فالصليب هو قوة الله اللانهائية للغفران. فإن كنت اليوم تريد أن تفرح بقوة الصليب، فقوة الصليب أنه يرفع عنك الخطية. ألقِ بخطيتك على المسيح وأنت واثق في غفرانك.

ذبيحة الخطية في سفر اللاويين الإصحاح الرابع، هي صورة من صور الصليب. إن الله قال لو الكاهن أخطأ وعمل خطية، يقدّم ثورًا يذبحه للرب ذبيحة خطية. وقال الله لو فرد من عامة الأرض، أي واحد من الشعب، أخطأ، قال الله يأتي بأنثى عنزة. فما معنى هذا؟ معناه أن الله يقول إن الإنسان مهما كان إدراكه لسر الصليب وقوة الصليب، مهما كان إدراكه ضعيفًا، الله قبل الذبيحة منه. أي أن التمتع بغفران المسيح هذا لا يتوقّف على مدى إدراكنا لعمق الصليب، لكن يتوقّف على قوة دم المسيح الذي سُفك على الصليب.

هذا وأكثر من ذلك قال الله إنه عندما يقدّم الإنسان العنزة، يقول الرب: "تَشْتَمُّها رائحة سرور". وأنا حقًا أشعر بالدهشة أمام هذه الآية. كيف يا رب تكون ذبيحة خطية ومع ذلك تقول إن الله يشتمها رائحة سرور؟ في ذبيحة الكاهن، عندما كانت ثورًا، لم يذكر الرب أنه يشتمها رائحة سرور، لأن الذبيحة ذبيحة خطية. ولكنه عند ذبيحة واحد من عامة الشعب، ومعزة صغيرة، يقول الرب: "شَمَمْتُها رائحة سرور". ماذا يريد الرب أن يقول؟
يريد الرب أن يكشف مدى فرحه بتوبة الإنسان. أبسط إنسانٍ فينا، مهما كانت معرفته الروحية ضعيفة، ومهما كان إدراكه لأسرار الصليب ضعيف، ومهما كانت معرفته لكلمة الله ضعيفة، لكنه جاء اليوم معترفًا أمام الرب قائلاً: "يا رب، أنا خاطئ، يا رب أنا آسف على ما فعلت" — يقول الله إنه يشتمها رائحة سرور... يفرح بها الله!
ما أعظم محبة الله! ما أعظم اشتياق الرب لتوبة الإنسان!
أُعطيكم مثالاً مع الابن الضال: هذا الابن لم يكن يدرك عمق محبة أبيه. كان يظن أنه عندما يعود، سيوبّخه أبوه بقسوة، وربما يعامله كأجير لا أكثر. هو لم يكن يتوقع أن يُقابَل كابن. هو لم يدرك ما في قلب أبيه من حب. كل ما عرفه أنه سيعود ويقول: "يا أبي، أخطأت". ولم يكن يتوقع أكثر من ذلك.
فماذا كانت النتيجة؟ النتيجة أن الأب قال: "كان ينبغي أن نفرح ونسرّ، لأن ابني هذا كان ميتًا فعاش، وكان ضالًا فوجد" (لو ١٥ : ٣٢)
مجرد رجوع الابن! ببساطة قال لأبيه: أخطأت. وهذا وحده ملأ قلب الأب فرحًا!

انظروا محبة الله، وانظروا قوة الصليب مجرد رجوع الإنسان إلى الله قائلاً "يا رب، أنا خاطئ... يا رب أنا نادم... يا رب سامحني على الماضي هذا عند الله يُشتمُ رائحة سرور. ليس لنا عذر في خطايانا.
الصليب هو قوة الله للخلاص. فلا تستكثر خطيتك على دم المسيح!

يجب أن نُمجّد دم الرب ونُعظم الفداء الذي صنعه الله. كيف؟
بأن يكون عندنا ثقة ويقين، أنه كما قال الرب "دم يسوع المسيح يُطهر من كل خطية"
فالصليب هو قوة الله للخلاص.

الصليب أيضًا هو حكمة الله

يقول معلمنا القديس بولس الرسول
"إن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، أما عندنا نحن المخلَّصين فهو قوة الله وحكمة الله"
هو قوة الله لأن به رفع الرب خطايا البشرية كلها، وبه أوقف حكم الموت عن جميع البشر.
إذًا فهو قوة الله، وهو أيضًا حكمة الله... منتهى الحكمة الإلهية في الصليب!
الصليب الذي ينظر إليه كثيرون كجهالة... هو في الحقيقة حكمة الله.
كيف هي حكمة الله؟ يقول القديس مار أفرام السرياني عبارة جميلة جدًا "بنفس الطريقة التي خدع بها الشيطان الإنسان، بها أيضًا خلّص الله الإنسان" وهذه منتهى الحكمة! " الآخذ الحكماء بمكرهم"
كيف خدع الشيطان الإنسان؟
شجرة، وثمرة متدلّية عليها، فجاء الإنسان وأكل منها بإغواء الشيطان...وكانت النتيجة سقوط الإنسان.
فقال الرب في حكمته سأخلّصهم بنفس الطريقة
شجرة = أي الصليب (هو قطعة خشب من شجرة)
وعليها ثمرة = السيد المسيح نفسه، المصلوب.
الشيطان انخدع في المسيح المصلوب، فلما رأى المسيح مات على الصليب، اندفع ليقبض روحه، لما دخل المسيح إلى الموت، حطم الموت فصار الصليب نهاية سلطان الموت، ونهاية سلطان إبليس.
فالصليب يا أحبائي منتهى الحكمة الإلهية بنفس الثمرة التي أكلها آدم فسقط، جعل المسيح نفسه ثمرة على خشبة الصليب،لكي يطمع فيها إبليس، وبذلك يتم خلاص البشرية كلها.
ويستمر عمل الصليب حتى اليوم على المذبح .آدم أكل مات. ونحن نأكل جسد المسيح ودمه لكي نقوم من الموت. لذلك قال المسيح "أنا هو خبز الحياة"
خبز يأكله الإنسان فلا يموت. عِوَضَ الثمرة التي أكلها آدم فمات، صار لنا الآن جسد الرب الذي به نحيا!
فالصليب إذًا حكمة إلهية!

- الصليب يعني ألمًا، يعني تعبًا، يعني ضيقًا، يعني تخليًا، يعني ظلمًا. ومنظر الصليب الخارجي يبدو مذلًا ، هذه هي حكمة الله لخلاص الإنسان.
وفي حياتنا العملية كيف نقبل الصليب كحكمة الله؟
بعدم التذمر على أي أمر يسمح به الرب في حياتنا. الرب يسوع يقول "لأني نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني"
هنا يبدأ الصليب من لحظة التسليم لإرادة الله. الصليب بدأ يوم خميس العهد في البستان عندما قال المسيح للآب "لتكن لا إرادتي بل إرادتك"

فإذا كان الصليب هو حكمة الله للخلاص، فلا نتذمر يا أحبائي.
صدق إن الله يسمح في حياتك بألم، بتعب، بتجربة وهو يقول هذه حكمتي... أنا أعرف ماذا أفعل.
وبحكمتي خلّصت البشرية بالألم، فبحكمتي أيضًا بالألم الذي تمرّ به سيكون طريق خلاصك...
فإن كان الصليب هو حكمة الله، فيجب ألا نتذمر. يكفينا أن نثق في حكمة الله.
نحن لا نفهم كل شيء — ولم يكن أحد يفهم عندما صُلب المسيح حتى تلاميذه قالوا: "كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل"
لم يكونوا فاهمين شيئًا! هذه هي عثرة الصليب ألم، تخلي المنظر يظهر كضعف أمام الناس، ولكن في الحقيقة هي خطة الله التي بها خلاص الإنسان.

أعطيك مثلاً من حياتنا:
يوسف الصديق... إخوته يحسدونه — الرب يقول له: لا تخف، هذا في الخطة.
إخوته يبيعونه عبدًا — الرب يقول: محسوب عندي.
يخدم بأمانة ثم يُظلم فيدخل السجن — الرب يقول له: هذا ضروري جدًا.
يوسف لم يكن يفهم لماذا دخل السجن. لكنه لم يتذمر. وتمسّك بحكمة الله.
وكان دخول السجن هو الوسيلة الوحيدة التي أوصلت يوسف إلى فرعون — وإلى المجد.
فيا أحبائي:لسنا مُلزَمين أن نفهم كل ما يسمح به الرب. لكن نثق في حكمة الله.
إن كل ما يحدث في حياتنا هو دائمًا — دون استثناء — تحت تدبير حكمة الله.
لا تتذمروا، بل اشكروا. لأن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، أما عندنا نحن المخلّصين فهي قوة الله وحكمة الله

الذي له المجد والإكرام من الآن وإلى الأبد، آمين.